محاضرات في علوم القرآن

الأستاذ: سمير بعزيز . . أستاذ اللغة والأدب العربي

جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي-

المحاضرة الأولى:

تمهيد

القرآن الكريم كلام الله أنزله على رسولنا محمد ﷺ , قال الله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15- 16].

أنزله الله بعلمه الأزلي الأبدي الذي وسع كل شيء, قال تعالى : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 166].

وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ: " كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ يَرُدَّهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَالذِّكْرُ

الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلُقُ عَنْ رَدٍّ ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[1].

أنزل الله عز وجل كتابه على أمة العرب بلسانها , قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۞ ﴾ [الشعراء: 192 - 195]. فأعجزهم, وتحداهم به وقد كانت اللغة أيامهم في أعلى درجات قوتها, إذ لا يعقل أن يتحدى الله ضعيفا, أو من كان دونه.

- فتحداهم أن يأتوا بحديث مثله, فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: 33 - 34].
- وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: 13].
- وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله: فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 23].

وهم في كل عاجزين, لا يستطيعون تحريك ساكن , بل أبهرهم ببيانه , فاعترفوا بالحقيقة ولكن منعهم جحودهم واستكبارهم عن الإيمان به, قال القرطبي: " لما نزل: ﴿حم ۞

[1] ـ حديث ضعيف, يروى عن علي بن أبي طالب ﷺ, انظر: مسند البزار وغيره, وانظر: ضعيف الجامع الصغير.

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[2] إلى قوله : ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ سمعه الوليد يقرؤها فقال : والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر. فقالت قريش : صبا الوليد لتصبون قريش كلها. وكان يقال للوليد ريحانة قريش ؛ فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه. فمضى إليه حزينا ؟ فقال له : مالي أراك حزينا. فقال له : ومالي لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد ، وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما ؛ فغضب الوليد وتكبر ، وقال : أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه ، فأنتم تعرفون قدر مالي ، واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك ، وإنما أنتم تزعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه قط يخنق ؟ قالوا : لا والله ، قال : وتزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا : لا والله. قال : فتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : لا والله. قال : فتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ، ولقد رأينا للكهنة أسجاعا وتخالجا فهل رأيتموه كذلك ؟ قالوا : لا والله. وكان النبي ﷺ يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقه. فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ففكر في نفسه ، ثم نظر ، ثم عبس ، فقال ما هو إلا ساحر! أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟"[3].

تعريف القرآن الكريم:

1 ـ لغة: "قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى:

---

[2] ـ أي بداية سورة غافر.

[3] ـ الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي, تحقيق: سمير البخاري, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية , الطبعة : 1423 هـ/ 2003 م, (19/ 75).

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17 - 18] , أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر[4].

1 ـ اصطلاحا: " القرآن هو كلام الله المعجز, ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ, المكتوب في المصاحف, المنقول عنه بالتواتر, المتعبد بتلاوته "[5].

- كلام الله : أي أن الله تكلم به حقيقة, على الوجه الذي يليق به سبحانه, نثبته بلا تحريف ولا تعطيل, وبلا تشبيه ولا تمثيل. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6].
- المعجز: أعجز الله به الثقلين, قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. وقال أيضا: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23 - 24].
- ووحيه: الذي يخص به رسله, قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

[4] ـ مباحث في علوم القرآن, مناع القطان, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع, الطبعة : الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م
[5] ـ انظر: مناهل العرفان, الإتقان في علوم القرآن, مباحث في علوم القرآن وغيرها.

- المنزل, أنزله الله عليه في ليلة القدر, قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 1 - 3].
- المنقول بالتواتر: والتواتر عند أهل المصطلح : " هو الخبر الذي يرويه الجمع عن مثله من أوله إلى منتهاه, تستحيل العادة تواطؤهم على الكذب, مستند روايتهم الحس والمشاهدة "[6].
- المتعبد بتلاوته: قال رسول الله ﷺ : " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ "[7].

تعريف علوم القرآن الكريم[8]:

علوم القرآن مركب إضافي، يتضح معناه ببيان معنى جزأيه، وهما: (علوم) و (قرآن).

فـ (علوم) جمع (علم) ، والعلم في اللغة: مصدر بمعنى الفهم والمعرفة ، يُقال: (عَلِمتُ الشيء أعلمه علماً عرفته) ، والعلم ضد الجهل.

وأمَّا في الاصطلاح ؛ فقد اختلفت في تعريفه عبارات العلماء باختلاف الاعتبارات .

فعلماء الشريعة يعرفونه بتعريف، وعلماء الكلام يعرفونه بتعريف آخر، وله عند الفلاسفة والحكماء تعريف ثالث. وليس شيء من تعريفات هؤلاء بمراد هنا، وإنَّما المراد: العلم في اصطلاح أهل التدوين، فهم يطلقونه على مجموعة مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم التفسير، وعلم الفقه، وعلم الطب ...، وهكذا،

---

[6] ـ انظر : فتح المغيث, وتدريب الراوي, والباعث الحثيث, وغيرها.
[7] ـ حديث صحيح, رواه الترمذي (2910), وغيره.
[8] ـ انظر: مناهل العرفان للزرقاني, وجهود ابن عبد البر في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله بن جابر القحطاني وغيرهما.

وجمعه علوم، فعلوم العربيَّة: العلوم المتعلقة باللغة العربيَّة، كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والشعر والخطابة وغيرها، هذا ما يتعلق بلفظ (علوم). وتعريف القرآن فقد تقدم.

وأمَّا (علوم القرآن) كمركب إضافي ، فله معنيان :

أحدهما: لغوي يُفهم من هذا التركيب الإضافي بين (علوم) و (القرآن) وهو أنها العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمةً للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دلّ على مسائلها، أو أرشد إلى أحكامها.

فالمعنى اللغوي لعلوم القرآن يشمل كل علم خدم القرآن ، أو أُخذ من القرآن ، كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة ، وغير ذلك .

والثاني: اصطلاحي خاص بعلم مدون ؛ ويُعرّف (علوم القرآن) عَلَماً على علم مدون بأنه : عِلْمٌ يضم أبحاثاً كلية هامة ، تتصل بالقرآن العظيم من نواحٍ شتى ، يُمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً.

قالوا في علوم القرآن[9]:

قال الشافعي ﷺ: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة, وجميع السنة شرح للقرآن, وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا. زاد غيره: وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم. وكما أنه أفضل من كل كلام سواه, فعلومه أفضل من كل علم عداه, قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: 19]. وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: 269].. قال مجاهد: الفهم والإصابة في القرآن. وقال مقاتل: يعني علم القرآن.

[9] ـ انظر البرهان في علوم للقرآن للزركشي.

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 146]. قال: أحرمهم فهم القرآن.

وقال سفيان الثوري: لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبدا.

قال عبد العزيز بن يحيى الكناني: مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيله سواه.

قال ذو النورين المصري: أبى الله عز وجل إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن.

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].. قال: القرآن، يقول: أرشدنا إلى علمه.

وقال الحسن البصري: علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال.